الأيام
يومية سياسية مستقلة

احتفاء تونسي بـ«خرائط» و«عقل» و«طريق» الفنان بشار الحروب

كتب يوسف الشايب:

افتتح قبل أيام في تونس، معرض شخصي للفنان الفلسطيني بشار الحروب تحت عنوان "خرائط الذات"، ضم العديد من نماذج مشاريع فنية مختلفة له، من أبرزها: "خرائط الذات"، و"طبيعة العقل"، "الطريق تأخذني وأنا أريد – تونس 2015"، و"خارج الإطار"، وغيرها، يحتضنها جاليري "قمرت".

ويحظى المشروع باهتمام لافت من الصحافة التونسية، والجمهور، إضافة إلى احتفاء الفنانين والنقاد، فقد أشار الكاتب والفنان البصري التونسي عمر الغمداسي، إلى أنه يمكن وصف بشار الحرب بـ"المشاء"، ذلك انه يجوب الأمكنة معتمدا على الكاميرا أو على ما ستختزنه ذاكرته، وعلى ما ستلتقطه يداه من مواد، وذلك لرسم خرائط ذاتية .. إنها خرائط من نوع آخر بلا خطوط طول وعرض وبلا حدود فاصلة ومراقبة .. لنقل انها خرائط محجوبة عن البصر، ولا تتجلى إلا بالبصيرة".

ويضيف الغمداسي: هو يرسم خرائط بتضاريس، وبأنهار، وبجبال، وبهضاب منسوجة من روحه في أطوار سكناتها، وحركاتها، ومعانتها، وأتراحها .. يروي بشار خرائطه ويرتوي منها بها، ذلك أنها خرائط تمتحن مسارات عديدة تخص العلامات والذاكرة والأمكنة، وهي مسارات يخوضها الفنان بجسده ليشكل منها ومن خلالها هوية مفتوحة، تكون ضمنها الخبرة الجمالية خبرة ذاتية، وهذا هو ما نعتقده العنصر الجوهري في تجربة بشار الحروب، ذلك ان هذا الفنان لا يستند لهوية مغلقة أو محدودة، بل انه يجعل من فنه مسارا تكون ضمنها الهوية صيرورة.

ويقدم الحروب من خلال معرض خرائط الذات، عددا من المشاريع الفنية التي تتعلق بالذات "ذات الفنان، واثر القضايا الوطنية والسياسية والاجتماعية والدينية على تجربته، فحضور الجسد وأشيائه الخاصة تأتي للتعبير عن هذه القضايا، فيها من الشخصي بقدر ما هي تتعلق بالقضايا الوجودية بشكل عام .. حيث تتنوع هذه الأعمال ما بين الرسم والتصوير والتركيب والفيديو والطباعة".

أما عمله "طبيعة العقل"، فهو عرض لمجموعة من المشاريع الفنية المعاصرة التي تنوعت ما بين التركيب والفيديو والتصوير والكولاج والرسم .. إن "طبيعة العقل" يتناول لحظة اعتبار كافة الأشياء إما في طور النشوء أو دور التحلل نحو اللاشيء – العدم، وهذا العدم ليس مساحة فارغة بل بالأحرى مساحة للإمكانيات. والمساحات البيضاء التي لا تنفك عن الظهور في اعمال بشّار الفنية هي طاقة كاملة من الضوء.. إنها رديفة للكلي وللاكتمال، كما تمثل الانفتاح والحقيقة .. إن المساحات السلبية قد تكون شكلاً مثيراً للاهتمام أو ذا علاقة فنية، حيث تستخدم مثل هذه المساحات بين الحين والآخر كموضوع حقيقي للصورة.

وهنا يقول الغمداسي: يتماهى الفنان الفلسطيني مع مبدأ فلسفي هندي قديم يقول بأن "الأنا" لا يمكن أن تعرف نفسها معرفة موضوعية، وإذا هي حاولت فعل ذلك، فستكون في حاجة إلى "أنا" مغايرة تصف الأولى، وستكون الثانية في حاجة إلى ثالثة تقوم بهذا الدور وهكذا دواليك.... والخلاصة أن " الأنا" في تفردها لا يمكن أن تكون وعاء لمعرفة موضوعية.

ويضيف: ليست المعرفة الموضوعية في رؤية بشار إلا معرفة تخلص الجوهري والمتأصل كجرح او كقدر إنساني من الزائف والدوغمائي والمصلحي كفعل بشري، علّ من هناك يبدأ خلاصنا، وبداية تخلصنا من الأساطير التي بلبلتنا وصنعت فراقنا، حتي نستريح في هذا الحاضر الذي ينقصنا، على حد تعبير محمود درويش.

وأغلب المشاريع المعروضة في تونس، تم عرضها عالميا في متاحف ومراكز للفنون المعاصرة بالعالم، بالإضافة لمشاريع انتجت خصيصا للمعرض. موضوعات الأعمال تركز على موضوع الهوية الذاتية، وهي كبورتريهات ذاتية للفنان تثير أسئلة وقضايا مهمة حول علاقة الفرد بالمجتمع والسياسة والدين.

ويختم الغمداسي: هكذا يأخذ بشار الحروب من فلسطينيته مقاسات الانموذج لتكون مقاسات للمطلق في الفن ... هكذا يأخذ بشار الحروب الإذن من فلسطينيته ليغادرها بحثا عن صورتها الخالصة والمكثفة في الإنسانية.